Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثاني

تطوّر المديح في الأدب العربيّ خلال العصور

١ ـ في الجاهليّة:

بدأ المديح في الجاهلية شعرًا يقال في مناسبات لا يستطيع المال أن يفيها حقّها. فكان إقرارًا بفضل أو إمعانًا في شكر أو تقديرًا لموقف، وكان الشاعر يجد نفسه منساقًا إلى التعبير عن مشاعره دون أن يبتغي جزاء أو معروفًا وكأنّه شاهد حقّ، وكان النّاس يأخذون شعره دليلًا يتناقلونه للتأكيد على قرب الممدوح من الفضيلة أو ابتعاد المهجوّ عنها. وكان الشّعر الجيّد من هذا المديح يتحوّل إلى أمثال سائرة يتناقلها الناس جيلًا عن جيل. فقد قال امرؤ القيس بيتًا يمدح فيه بني تيم قوم المعلّى الذي أحسن إليه وأجاره حين طلبه المنذر بن ماء السماء:

أقرَّ حشا امرىء القيسِ بنِ حُجْرٍ بنو تيم مصابيحُ الظلامِ

فقيل لبني تيم « مصابيح الظلام » منذ ذلك اليوم.

وخير دليل على ابتعاد ذلك الشعر عن المادّة ديوان زهير بن أبي سلمى الذي يدور أكثره على مدح هرم بن سنان والحرث بن عوف وغيرهما لوقفهما حرب داحس والغبراء بين قبيلتي عبس وذبيان ودفعهما ديات القتلى من الطرفين والتي بلغت ثلاثة آلاف بعير.

ولم يتحوّل الشعر إلى أداة للتكسّب إلا حين لذّ لجماعة من الممدوحين أن